حظّ المتكلمين فى تطوّر اللّغة العربية

د/ راحيلة خالد قريشى

يسمى العلم الذي يبحث فى العقائد بالأدلة العقلية و الردّ على المبتدعة بعلم الكلام (١) و المشتغلون به بالمتكلمين (٢). نشأ و ازدهر هذا العلم فى العصر العباسى و على الأرجح فى عصر المامون العباسى و من بعده من الخلفاء. (٣)

للمتكلمين (بجميع الفرق) حظ وافر فى تطور اللغة العربية و آدابها و أثر كبير فى النهضة الثقافية العربية. فانهم كانوا يعنون بمسائل دينية متفرقة و يشتغلون بالمباحثات و المناظرات و عندهم معرفة تامة حول اديان مختلفه مثل البهودية و النصرانية و غيرهما. كما حذقوا فى الفلسفة اليونانية (٤) و العلوم العقلية فأحاطوا الفرق الأجنبية و أقوالها و حججها و بحثوا فى المسائل الدينية و وقفوا للدفاع عن عقيدتهم ضد خالفيهم من الملحدين و أهل الاهواء و كانوا يتحاورون بهم حوارا عنيفا. و كانت تزخر مساجد الكوفة و البصرة (وهما من أهم مراكزهم) و بغداد بهم (٥) و كان المتكلمون يتخاصمون و يتحاورون بها شديدا بمخالفهم و لأنهم كانوا أشد مجادلة و مناظرة بخصومهم فكان يحاول كل واحد منهم أن يقهر خصمه و يغلب عليه. فروى: "أنه اجتمع متكلمان بموضع، فقال أحدهما للآخر، هل لک فى المناظرة؟ فقال على شرائط، أن لا تغضب، و لا تعجب، و لا تشعب و لاتحكم و لا تقبل على غيرى و أنا أكلمک، و لا تجعل الدعوى دليلا و لا تجوز لنفسک تأويل

آية على مذهبك إلاجوزت إلى تأويل مثلها وعلى أن تؤثر التصادق و تنقاد للتعارف و على أن كلا منا يبنى مناظرته على أن الحق ضالته و الرشد غايته". (٦)

ومن أشهر المتكلمين واصل بن العطاء (ت١٣١هـ)(٧)وعمرو بن عبيد(ت ١٤٥ هـ)(٨) واشتهر من تلاميذه بشر بن المعتمر(ت ٢١٠ هـ)(٩) وثمامة بن الأشرس النميرى البصرى (ت٢١٣هـ)(١٠) و أبو الهذيل العلاف(ت٢٣٥هـ)(١١) والنظام (ت٢٢١ هـ)(١٢) والجاحظ (ت٢٥٥ هـ)(١٣) وهؤلاء المتكلمون ينفذون إلى آراء جديدة فى البحوث الطبيعية و الفلسفة الالهية. وكان ناحية ادبية أيضاً . وقد نقل الجاحظ فى الجزء الاول من كتابه الحيوان وفى بعض الجزء الثانى المناظرة بينه و بين معبدفى الكلب والديك، أيهما أفضل فيقدم أبو الاسحاق النظام الفريق الأول و يتزعم الرهط الآخر معبد وفى هذه المناظرة كلام بليغ وأخيلة بديعة تبدوبها براعتهما على البيان وقدرتهما على الأدلة. (١٤)

وكان بعض الناس ينظرون إلى هذا النمط و إلى هذا الضرب من الجدل بعين الاستغراب والاستنكار فرد عليهم الجاحظ رداً مسهباً، حاول فيه أن يقول: "إن البحث فى شأن الحيوان ضرب من ضروب التعبدولون من ألوان البحوث الدينى التى تنتهى بصاحبها إلى معرفة عظمة الله وعظم ما أبدع وبدأ". (١٥)

قرغب الناس إلى مناظرات المتكلمين حتى أصبحت شغل الناس يشتغلون ويعجبون بها كما كانوا يعجبون بهذا الناظر أو ذاك و يتحدثون فيمن كان له الظفر أو من هزم ويحاولون أن يتبينوا أسباب الظفر أو الهزيمة ويعودون النظر فى حجج الخصمين وفى لغتهما وفى مخارج الحروف والاشارات والهيئات حتى قيل: "أنه بتأثير هذه المناظرات أخذت تشيع فعلاً فى هذا العصر فكرة تحسين القبيح و تقبيح الحسن فظلت تنمو حتى ألفت فيها كتب خاصة". (١٦)

فنشأت وازدهرت اللغة العربية بسبب مناقشاتهم و مباحثاتهم وأخذ اللغويون يعنون بمخارج الحروف و هيأتها المختلفة والنحويون بقواعد الصرف والنحو فى كلام المناظرين وحفلت كتب الأدب والملل بما كان يدور بين الفرق المختلفة من مجادلات و مباحثات وقيل: "أن المتكلمين وخاصة المعتزلة ☆ وضعوا فى العربية الأسس التى بنى عليه بعد علم البحث والمناظرة". (١٧) وقال الجاحظ: "أن كبار المتكلمين و رؤساء الناظرين وعلى رأسهم المعتزلة كانوا أكثر من الخطباء وأبلغ من البلغاء وهم تخيروا خير الألفاظ لتلك المعانى واشتقوالها من كلام العرب تلك الأسماء واصطلحوا على تسمية مالم يكن فى لغة العرب اسم، فصاروا فى ذلك سلفا لكل خلف وقدوة لكل تابع". (١٨)

يخبرنا هذا القول ومثله أن المتكلمين كانوا متقنين فى علوم اللغة وقادرين على البيان والبلاغة والخطابة والمناظرة ومنهم من قال الشعر و برع فيه فاعترف أبوزهرة بذلك بقوله: "أنهم امتازوا باللسان والبيان، هذا واصل بن عطاء كبيرهم، خطيب، عليم بخواطر النفوس، حاضر البديهة، قوى الارتجال، هذا ابراهيم بن سيار النظام من شيوخهم، كان ذكياً، بليغا، حاد اللسان، أريباً، شاعراً وهذا أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ الذى يقول فيه ثابت بن قرة الصابى: "أبو عثمان الجاحظ، خطيب المسلمين، شيخ المتكلمين ومدرة المتقدمين، إن تكلم حكى سحبان فى البلاغة وأن ناظر ضارع النظام فى الجدل، شيخ الأدب ولسان العرب وكتبه رياض زاهرة ومسائله أفنان مثمرة، ما نازعه ضارع الارشاه آنفا ولا تعرض له متعرض إلا قدم له التواضع استبقا". (١٩) ولأنهم كانوا حاذقين فى الثقافات العربية وغيرالعربية ودرسوها من جميع نواحيها فمزجوا بعضها ببعض فقررهم الكتاب: "العامل الأكبر من عوامل المزج بين الثقافات الاجنبية المختلفة

وحلقة الأتصال بين من قبلهم من المسلمين الذين وقفوا عند نصوص القرآن والحديث وبين من أتى بعدهم من الفلاسفة المسلمين مثل الفارابى، وابن سينا و ابن رشد وغيرهم، وكان مؤقف المتكلمين جديدا لأنهم سلكوا طريقا غير طريق السلف فانهم تعرضوا للمسائل الكثيرة التى لم يتعرض لها أحدٌ من قبلهم". (٢٠)

فتحدثنا الروايات أن النظام قرأ على "أرسطو" ورد عليه وكذلك درس "أبو هذيل العلاف" المذاهب المختلفة وأتقن فيها. قال: فيه أحمد بن يحي بن المرتضى (ت ٣٢٥ هـ): "ما رأيت أفصح من أبى الهذيل والجاحظ وكان أبو الهذيل أحسن مناظرة، شهدته فى مجلس وقد استشهد فى كلامه بثلثمائة بيت. وكان أبو الهذيل حسن الجدل، قوى الحجة، كثير الاستعمال للأدلة والالزامات". (٢١)

والمتكلمون كانوا متقنين فى الثقافة اليونانية و عندهم معرفة تامة فى الثقافة العربية و أدبها فمزجوا الثقافتين بعد أن وضعوا اسماء و كلمات عربية لأسماء وكلمات يونانية ولهذا قيل: "أنهم كانوا صلة بين الفلسفة اليونانية والأدب العربى فقد تثقفوا ثقافة عربية من لغة وادب و مزجوا الاثنتين مزجاً تاماً ووضعوا لمعانى يونانية واسماء يونانية كلمات عربية وكانوا مضطرين إلى أن يتخيروا خير الكلمات وخير التعبيرات، فمرنوا على الخطابة والبلاغة حتى قدموا معانى وتعبيرات للادباء والشعراء لم تكن معروفة من قبل". (٢٢)

يبدو بهذا الكلام أن زعماء المتكلمين كلهم امتازوا بقدرتهم على اللسان والبلاغة وعندهم معرفة تامة وواسعة للعلوم والآداب العربية و غيرالعربية. فروى: "أن واصل بن عطاء كان يرد مخالفيه بعد معرفة أقوال الفرق بفصاحة القول، وصفه بشار بن برد فى قوله وهو:

وقال مرتجلاً تغلى بداهته كمرجل القين لما حف باللهب(٢٣)

ووصفته زوجته لعنايته إلى اللغة العربية بقولها: "أنه كان اذا جنه الليل صف قدميه يصلى ولوح ودواة بجانبه، فاذا مرت به آية فيها حجة على مخالف، جلس فكتبها ثم عاد إلى صلاته". (٢٤) يظهر بوصفها له كثرة استشهاده للبحث والمناظرة بالقرآن الكريم الذى المصدر الأول للادب العربى. و "عمروبن عبيد" وصفه أحدٌ بقوله: أنه كان عمرو إذا رأيته مقبلاً، توهمته جاء من دفن والديه و إذا رأيته جالساً توهمته أجلس للقود وإذا رأيته متكلماً، توهمت أن الجنة والنار لم تخلقا الاله. وقد أبى هو وأصحابه أن يتولّوا للحكومة عملاً وأرادوا أن يكون عملهم خالصاً لله". (٢٥)

وروى عن'الجاحظ: "أن عبدالصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشى كان أغزر من أبيه و أنه تكلم فى خلق البعوضة وفى جميع شأنها ثلاثة مجالس كاملة". (٢٦) وقال الجاحظ فى ثمامة بن أشرس: "ما علمت أنه كان فى زمانه قروى ولا بلدى، كان بلغ من حسن الافهام مع قلة عدد الحروف ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه". (٢٧)

وكان ثمامة بن أشرس واحد عصره فى العلم والادب وكان جدلاً حاذقاً وقد نقل الجاحظ عنه كثيراً فى مؤلفاته وانتفع باسلوبه و معانيه لأنه شيخ من شيوخه. يظهر به أنه استفاد عن نظرياته العلمية وافكاره الادبية وكان تأثره به فى مجال الادب عميقا.

و"بشر بن المعتمر (ت ٢٠١ ﻫ) اشتهر فى العلم وكان له ناحية ادبية دون الناحية الكلامية والاعتزالية. فهو يعد أول مؤسس لعلم البلاغة العربية☆ وذلك بالصحيفة القيمة التى نقلها الجاحظ عنه فى البيان والتبيين قال فيهابشر بن

المعتمز ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني و يوازن بينها و بين أقدار المستمعين وبين اقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامه وبكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم اقدار الكلام على اقدار المعاني.(٢٨)

وهو في الحقيقة أبان في هذه الرسالة اساس البلاغة وقرر مطابقة الكلام بمقتضى الحال كما قرر واجبا وقوع الكلمات على أماكنها في الكلام و أن تقع موقعها و تحل في مراكزها. وانه نبغ في فن الشعر وله قدرة خاصة في نوعي المخمس والمزدوج من فنونه. وقد ذكر الجاحظ في الحيوان: "قصيدتين طويلتين☆ له وصف فيهما حكمة الله في خلقه وعلى الأخص في الحيوان". (٢٩) ومنهم عمر بن بحر الجاحظ الذي له قدرة كاملة على العلم والادب والفلسفة ومعرفة تأمة على أنواع المعارف واطلاع واسع على الشعر والنثر وعنده كثير من اخبار العرب و خطبهم واقوالهم و عنده علم العلوم الدينية وغيرها ولهذا قيل في معرفته على العلوم والمعارف(٣٠) أنه كتب حول كل موضوع تقريباً من المسلمين إلى بني الهاشم، من اللصوص إلى الذئاب ومن الكلام في صفات الله إلى القيان و من القضاة والولاة إلى امهات الاولاد ومن الامامة إلى الحول والعور، فان نحن قلنا إن كتبه دائرة المعارف لزمانه غير مرتبة على أحرف الهجاء ولا على اساس كان ذلك صواباً. له مصنفات كثيرة وهذه المصنفات التي نقلت اسماء ها في معجم الادباء (٣١): تدور حول موضوعات مختلفة نقلناه وغلبت على الجاحظ النزعة الأدبية، لأنه اختار خير الكلمات وأحسن التعبيرات في كلامه ومزج العلم بالادب إذ جاء في مصنفاته بكثير من شعر أو حكمة أو نادرة.

وبرع من المتكلمين النظام (٣٢) في مجال العلم والادب وكان يعرف بحدة ذهنه وصفاء قريحته ووسعة اطلاعه واشتهر في مجال الادب بالحوض على

المعانى الدقيقة، وصوغها فى قالب طريف وله قدرة كاملة على البيان والكلام ويبدو بالروايات أنها كانت له هذه القدرة منذ صغره. فروى: "أنه (وهو صغيراً) دخل على الخليل بن احمد وفى يد الخليل قدح زجاج. فقال له الخليل: صف هذه الزجاجة، فسأل: أبمدح أم بذم؟ فقال الخليل: بمدح، فقال: يريك القذى ولا تقبل الأذى ولا تسترما وراء ها. ثم قال الخليل: فذمها، قال النظام: يسرع اليها الكبر ولا تقبل الجبر. ثم قال الخليل: صف هذه الشجرة (و أشار إلى نخلة فى داره) فقال النظام فى مدحه: حلو خباها، باسق منتهاها، ناضر أعلاها وقال فى ذمها: صعبة المرتقى، بعيدة المجتنى، محفوفة بالاذى، فقال الخليل بن احمد: يابنى نحن إلى التعلم منك أحوج". (٣٣)

وقد أثرت عنه الجمل القصيرة اللطيفة فى كتب الادب منها قوله :

"العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كله، فاذا أعطيته كلك، فأنت من أعطائه لك المعضّ على خطر". وسمع دوى الصواعق والريح ذات مرة فقال : اللهم إن كان عذاباً فاعرفه، وان كان صلاحاً فزد فيه وهب لنا الصبر عند البلاء و الشكر عند الرخاء، اللهم ، إن كان منحة فمن علينا بالعصمة وإن كان عقاباً فمن علينا بالمغفرة". (٣٤)

وقال النظام الشعر و برع فيه وتفلسف فى معانيه كما كان يتفلسف فى نثره و نحافى الشعر نحواً خاصاً فى دقة المعانى وحسن السبك روى: أنه كار أبونواس يعجبه للطف معانيه و دقة طبعه و تفلسفه أحيانا وقربه. ومن قوله حين مرض وفى يده قدح دواءٍ. (٣٥)

أصبحت فى دار بليات

أدفع آفات بآفات

وكان يحفظ شعرا كثيرا وعنده اخبار واسعة من الاديان لأنه قرأ القرآن الكريم وكتب المذاهب الاخرى مع تفاسيرها. وكان يعلم مسائل الفقه الاسلامي وقد نقل " احمد أمين " قول الجاحظ في وصفه وهو يقول : "كان الاوائل يقولون في كل سنة رجل لا نظيرله، فان كا ن ذلک صحيحاً فهو النظام" . (٣٦)

وقد عقد شوقي ضيف الفصل في دراسات المتكلمين العلمية والادبية☆ في كتابه البلاغة تطور و تاريخ . وذكر فيه النكت في أعجاز القران لعلي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٦ﻫ) وهو من أعلام المعتزلة. ورسالته التي ذكرها "شوقي ضيف" هي التي ألفها "علي بن عيسى " جوابا على سؤال لشخص، طلب إليه تفسير تلک النكت التي فسرها في رسالته باجمال وجاء بالحجاج بشوتها. (٣٧)

ومن المعتزلة محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري (٣٨) الذي يعد امام عظيم في التفسير والنحو واللغة فانه ألف في اللغة "اساس البلاغة" وهومعجمه وصنف "المستقصى في الامثال" والفائق في غريب الحديث و "مقدمة الادب، و المفصل" في النحو و من أشهر كتبه هو تفسيره للقرآن الكريم سماه "الكشاف" وكل كتاب من كتبه المصنفة مظهر قدرته على العلوم وابتكاره في الكلام.

ومنهم "القاضي عبدالجبار الأسد آبادي (ت ٤٠٠ ﻫ) عالم عظيم و أديب كبير ألف في اللغة معجما كبيراً يقع في سبع مجلدات سماه "المحيط" و منهم أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني (٣٩) لا يغفل أحد من مكانة كل واحدٍ في الادب و العلم وصنف ابن جني "الخصائص" في اللغة ووضع أصول اللغةِ واسلوبه في كتابه يدل على معرفة اللغة ووسعة اطلاعه على مسائلها.

فلا شک فيه أن المتكلمين (بجميع الفرق) خلفوا لنا أدبا كثيرا فمنه

تفاسير القرآن و منه تحاليل الأحداث التاريخية و منه المناظرات فى خلق القرآن و منه كتبهم فى علوم اللغة و من تصانيفهم فى الآداب العربية (شعراً و نثراً) و كما قلنا آنفا أنه يكفى للمعتزلة من المتكلمين فخراً فى الادب صحيفة "بشر بن المعتمر" وما ألفه الجاحظ من المولفات و الموضوعات و ما ألفه الصاحب بن عباد و ابن العميد و غيرهم. ولعله بهذه السبب كان المعتزلة يفتخرون باعتزالهم حتى قيل:

"أن المعتزلة ينظرون إلى جميع المذاهب كما تنظر الملائكة على السماء إلى أهل الأرض ولهم كثيرٌ من التصانيف الموضوعات و الكتب المؤلفات فى دقائق التوحيد و العدل و التنزيه لله عزوجل و كل متكلم بعدهم يغترف من بحارهم و يمشى على آثارهم ولهم فى معرفة المقالات و المذاهب المبدعات تحصل عظيم وحفظ عجب وغرض بعيد و ينقدونالمذاهب كما ينقد الصارف الدنانير و الدراهم". (٤٠)

اتّسع النزاع بين المعتزلة و الفرق الأخرى اتساعاً أيام المامون العباسى و من بعده من الخلفاء إلى أن ظهر أبو الحسن الأشعرى (ت ٣٣٠ ﻫ) بالبصرة وهوتلميذ أبى على الجبائى المعتزلى. (٤١) وكان أبوالحسن الأشعرى معتزليا ولزم على اعتزاله أربعين سنة و أخذ الكلام منهم ولكنه تحول من الاعتزال إلى مذهبه الجديد بعد أن عكف فى بيته مدة. واجتمع حوله كثير من الناس منهم جماعة الادباء و العلماء. ذكرهم أحمد أمين فى كتابه "ظهر الاسلام" وقسمهم على طبقات ستة نجد فى كل طبقة من هذه الطبقات رجال من العلماء و الادباء و البلغاء. فمن الطبقة الاولى اشتهر ابوالاسحق الاسفرائينى وأبوبكر القفال و الحافظ الجرجانى و الشيخ أبو محمد الطبرى وغيرهم ومن الطبقة الثانية الصعلوكى و الدارانى و أبوبكر الباقلانى و أبو بكر بن فورك ومن الطبقة الثالثة أبوالحسن السكرى وأبو منظور

النيسابوری و أبومنصور البغدادی و الحافظ الهروی وغیرهم و من الطبقة الرابعة الخطیب البغدادی و أبوالقاسم القشیری و من الطبقة الخامسة الامام الغزالی و الشاشی و أبوالنصر القشیری و ابن عساکر و السمعانی و أبو طاهر السلفی و منهم فخر الدین الرازی و سیف الدین الآمدی و عزالدین عبدالسلام و ابن الحاجب المالکی و کثیر سواهم . (٤٢)

لکل واحد منهم مکانة ممتازة فی تطور اللغة العربیة و آدابها و فی المسائل الدینیة و علومها و لهم مصنفات معروفة متداولةفمنهم من بسط القول فی تفسیر القران الکریم من حیث کونه کلام الله المعجز و منهم من شرح الاحادیث النبویة و أحاط کل جوانبها البلاغیة و البیانیة و اعتنی بغریبها و فسرها و منهم من اشتغل بمسائل الفقه و الکلام و الردّ علی المبتدعة و أهل الأهواء مثل الزنادقة و غیرهم و ألف الکتب و الرسائل فی الردّ علیهم و منهم من ألف فی تاریخ الاسلام و منهم من ضبط أحوال رجال الحدیث و اشتهر منهم عالمان کبیران لا یکمل الکلام بغیر ذکرهما هما أبو حامد الغزالی و فخرالدین الرازی (٤٣) فلهما تألیفات ذات اهمیة فی الدین و الأدب تبدو بها قدرتهما علی البیان و الحجة و وسعة اطلاعهما علی العلوم و المعارف.

فلا تفتر مساعی المتکلمین و فرقهم فی مجال الادب العربی و علومه فلهم کتب فی النحو و الصرف و الادب و البلاغة، و اللغة، و التاریخ و الحدیث و التفسیر و غیرها. و وضعوا المصطلحات العلمیة و الادبیة و عرفوها و ضبطوا المعاجم اللغویة و برعوا فی النثر و الشعر و عندهم اطلاع واسع علی الآداب العربیة و غیر العربیة و أتقنوا فی الفلسفة العربیة و الیونانیه، و الهندیة و غیرها. و عندهم معرفة تامة للقرآن و الحدیث فکانوا یجادلون بالعلماء و أصحاب الادیان الأخری و غیرهم من

الملحدين وأهل الأهواء. حتى رغب الناس الى مناظراتهم واعتنوا بمافيها من الكلام البليغ والحجج القاطعة. ويشهد قول أحمد أمين على ذلك فيقول:

"وقد أثرت عن الفرقة الكلامية فى الأدب كثيرا فعمقت موضوعاته ودقت معانيه وظهر ذلك فى الكتب التى ألفت فى هذا العصر والشعراء كانو يتقنون معانى المتكلمين فيدسونها فى اشعارهم ويعتنق بعض الشعراء بعض المذاهب الدينية والفكرية فينتصرون لها ويعيبون ما عداها". (٤٤)

وقال الجاحظ: "لو لا مكان المتكلمين لهلكت العوام من جميع الأمم ولو لا مكان المعتزلة لهلكت العوام من جميع النحل". (٤٥)

الهوامش

١. فعرفه ابن خلدون بقوله: هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين فى الاعتقادات من مذاهب السلف و أهل السنة (مقدمه ابن خلدون: للعلامه عبدالرحمن ابن خلدون، ١/٤٥٨، الفصل العاشر) مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، لبنان.

واشتمل علم الكلام على مسائل كثيرة منها الالهيات و منها مسائل الطبيعة والكيميا ومنها مسائل لسياسة و منها مسائل عقلية فقال أحمد أمين: كل هذا و أمثاله جعل علم الكلام يشتمل على مسائل لا حد لها والقسمت هذه المسائل إلى خمسة أقسام رئيسية هى: المتكلمون والمعتزلة و أهل السنة والخوارج والمرجئة. (ظهر الاسلام، ٤/٢، لأحمدأمين المصرى، دارالكتاب العربى، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة، ١٣٨٨ھ/١٩٦٩م).

المتكلمون هم الذين اشتغلوا بعلم الكلاموأنهم وقفوا للدفاع عن عقيدتهم ضدمخالفيهم وعكفوا على ثقافات ومعارف اجنبية يتزودون بها وخاصة بالفلسفة اليونانية حتى وضعوا لأنفسهم مذهبا ضخما تميز بأصوله الخمسة المعروفة وهى: التوحيد والعدل والوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر(تاريخ الأدب العربي (العصر العباسى الثانى) لشوقى ضيف، ص ١٧١، دارالمعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م).

قيل : لم تبلغ تعاليم المعتزلة (وهى فرقة من فرق المتكلمين ولها الفضل الأكبر فى تطورعلم الكلام) مبلغها من الانتشار والقوة إلا فى العصر العباسى الأولوخاصة فى عهد المامون (١٩٨ھ- ٢١٨ھ) الذى عقد المجالس للمناظرة بصقره و أباح للمتناظرين الكلام فى مختلف الموضوعات وسارالمعتصم على سياسة أخيه وبعده الواثق اقتدى بأبيه فى انتصاره للمعتزلة. (تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ٢/١٥٩، ١٦٠، د/ حسن ابراهيم حسن، مكتبة النهضة

المصرية بالقاهرة الطبعة السابعة، ١٩٦٤م)

بدأت حركة الترجمة فى العصور العباسية وترجم كثيرمن علوم الهند والفرس واليونان فنقل العرب علوم الفلك والرياضيات عن الفرس والهند وعن اليونان مجموعات العلم التى تتعلق بالعلوم الطبيعية والفلسفة اليونانية (انظر للتفصيل الملل والنحل، ١/٧٣٦، للامام الشهرستانى، الطبعة الثانية، مكتبة الانجلو المصرية، شارع محمد فريد، القاهرة).

البلاغة، تطور وتاريخ، لشوقى ضيف، ص ٣٣، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ١/٧٨، (شروط المناظرة) (لأبى القاسم حسين بنمحمد راغب الاصفهانى، منشورات دار المكتبة للحياة، بيروت كانون الثانى، ١٩٦١م)

(واصل بن العطاء) وهومؤسس فرقتهم، قيل أنه هو أول من قال بأن مرتكب الكبيرة فى منزلة وسطى بين منزلتى الايمان والكفر وكان يكثر من جدال أصحاب الملل والنحل، (الواصلية) ١/٥٩، الطبعة الرابعة، ١٩٩٥م، دار المعرفة بيروت لبنان

عمرو بن عبيد ختن واصل وخلفه على آرائه وكان يكثر الجدل مثل واصل ومضى تلاميذه يفرعون فى مسائل الاعتزال وبعض المسائل الفلسفية. (لسان الميزان، ٤/٣١٦، للمام شهاب الدين، احمدبن حجرالعسقلانى، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، دكن، ١٣٣٠هـ)

بشر بن المعتمر، كان شيخ المعتزلة ببغداد ورئيسهم وكان حسن الجدل، الحجة و يعد فى الذروة من فصحاء المتكلمين و بلغائهم وقد جعله الجاحظ أكثر المعتزلة فى رواية للشعر (أنظر لأحواله الملل والنحل (البشرية) ولسان الميزان، ٢/٣٣.

ثمامة بن الأشرس، هو أبومعن ثمامة بن الأشرس النميرى، أحدرؤس المعتزلة و من شيوخ الاحظ وهو الذى يروى عنه الجاحظ كثيرا، فيقول "أخبرنا ثمامة ويقول" حدثنى ثمامة و "هذه الصفات التى ذكرها ثمامة (صحى الاسلام، ٣/١٥

لأحمد إمين المصرى، دار الكتب العربى ، بيروت، لبنان الطبعة العاشرة والملل والنحل، ١/ ٦٨

١١- أبو الهذيل العلاف، اشتهر بالجدل وأصبح على رأس المعتزلة فى أيامه وعرف أتباعه بالهذيلية (الملل والنحل، ١/ ٥٢)

١٢- ابراهيم سيار بن هانى النظام البصرى(كان من الموالين واستاذ الجاحظ تتلمذ للعلاف فى الاعتزال ثم انفرد عنه وكون له مذهبا خاصا عاش فى بغداد ومات وهو شاب فى نحو السادسة والثلاثين من عمره قال الجاحظ فى فضله : أنه قد أنهج لهم (للمتكلمين) سبلا و فتق لهم اموراً واختصرلهم أبوابا (الحيوان، ٣/ ١٠٦) وما بعد لأبى عثمان عمر وبن حجر الحافظ ، داراحياء التراث العربى، ١٣٨٨ه، (انظر الملل والنحلو١/ ٥٦)

١٣- الجاحظ هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى الليثى البصرى الملقب بالجاحظ تنسب اليه الفرقة المعروفة بالجاحظية، (معجم الادباء، ١٦/ ٧٥)

١٤- الحيوان، ١/ ٣٧٠، وما بعد لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (دار لحياء التراث العربى ، ١٣٨٨ه/ ١٩٦٩م)

١٥- الحيوان للجاحظ ، تقديم عبدالسلام هارون ، ١/ ٢٢، وما بعد (المجتمع العلمى العربى الاسلامى، بيروت، لبنان ، ١٣٨٨ه/ ١٩٦٩م)

١٦- البلاغة تطور وتاريخ ، ص ٤٠، لشوقى ضيف

١٧- ايضاً

١٨- البيان والتبيين للجاحظ، ١/ ٨٨ دار صعب بيروت ، تحقيق و تقديم فوزى عطوف ، ٩٦٨م

١٩- المذاهب الاسلامية، ١/ ٢٣٢، محمد أهمد أبوزهرة، المطبعة النموذجية، القاهرة

٢٠- ضحى الاسلام، لأحمد أمين المصرى، ١/ ٣٨١، دار الكتاب العربى بيروت، الطبعة العاشرة ، ١٣٥١ه/ ١٩٣٣م

٢١- كتاب المنية والامل ، ص ٢٩

٢٢۔ ضحى الاسلام، ٣/٨، الطبعة العاشرة، ١٣٥٥ھ / ١٩٣٦م

٢٣۔ ايضاً، ١/٣٨١

٢٤۔ فجر الاسلام، ص ٣٠٠، دار الكتاب العربى بيروت، لبنان، الطبعة العاشرة، ١٩٦٩م

٢٥۔ ايضاً

٢٦۔ البيان والتبيين للجاحظ، ١/١٢٣ (وهو من المتكلمين، وذكر الجاحظ فى البيان والتبيين)

و أبوه الفضل بن عيسى الرقاشى من أخطب الناس وكان متكلما وقاصا مجيدا (البيان والتبيين، ١/١٦٢)

٢٧۔ ضحى الاسلام، ٣/١٥

٢٨۔ البيان والتبيين، ١/٨٧

٢٩۔ الحيوان، ص ٩٣ وما بعدها

٣٠۔ ضحى الاسلام، ٣/١٢٨

٣١۔ معجم الادباء ١٦/من ١٠٦ إلى ١١٠، لشهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومى الجنس، الحموى المؤلد البغدادى الدار مكتبة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر۔

٣٢۔ وقال الجاحظ فى فضله: انه قدانهج لهم (للمتكلمين) سبلاً وفتق لهم اموراً واختصر لهم ابوابا ___ (الحيوان، ٤/٢٠٦)

٣٣۔ زهر الآداب و ثمر الالباب، ٢/١٩، لأبى اسحاق ابراهيم بن على الحصرى القيراوانى، مطبعة عيسى البابى الجلبى، مصر ١٩٥٣م

٣٤۔ المصدر السابق وضحى الاسلام، ٣/١٠٧۔١٠٨

٣٥۔ ضحى الاسلام، ٣/١١٠

٣٦۔ ايضاً، ٣/١٢٢

٣٧۔ البلاغة تطور و تاريخ، ص ١٠٣

٣٨۔ هو أبوالقاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى الزمخشرى (٤٦٧ھ ۔

٥٣٨هـ) ولد بزمخشر وكان معتزلى الاعتقاد، متظاهرا به حتى نقل عنه أنه كان يسمى نفسه بأبى القاسم المعتزلى احياناً (اساس البلاغة ، دار بيروت للطباعة والنشر، ص ٦٠٥)

٣٩- هوأبوالفتح عثمان بن جنى الموصلى اديب، نحوى،صرفى، لغوى ولد قبل سنة ٣٣٠هـ وسكن بغداد ودرس بها، وله مصنفات كثيرة فى الادب واللغة (معجم المؤلفين٦/ ٢١)

٤٠- ظهر الاسلام ، ٤/ ٦٢ لأحمد أمين المصرى، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السادسة.

٤١- قيل: وذلك اذا اشتدت حملة المعتزلة على الفقهاء المحدثين ولم يسلم من حملتهم فقيه معروف أو محدث واستمر الخلاف بين المعتزلة و أهل السنة والجماعة حتى ظهر أبوالحسن الأشعرى فتوسط بينهما (أنظر تاريخ الاسلام ، د/ حسن ابراهيم حسن،٣/ ٣٥٠ و ما بعد) والملل والنحل، ١/ ١٢٧

٤٢- ظهر الاسلام ، ٤/ ٦٤،

٤٣- الغزالى،هومحمد بن أحمد الطوسى الشافعى المعروف بالغزالى ، حكيم، متكلم فقية، اصول ، صوفى ، مشارك فى أنواع العلوم(معجم المؤلفين ، ١١/ ٢٦٦) وضحى الاسلام ، ٣/ ٨٤

الرازى، هو محمد بن عمر التميمى البكرى الفارسى ولدسنة ٥٤٣هـ وهو مثل الغزالى فى قوة الحجة وفصاحة اللسان وكثرة التاليف فى علم الكلام (معجم المؤلفين ، ١١/ ٧٩) وضحى الاسلام ، ٣/ ٨٨

٤٤- ضحى الاسلام ، ٣/ ٣٥٢

٤٥- الحيوان ، ٤/ ٦٩ ؛ ضحى الاسلام ، ٣/ ١٢٦